**مقياس: المدارس اللسانية د/هناء سعداني – السنة الثانية دراسات أدبية.**

المحاضرة: 1

لسانيات فريديناند دي سوسير **Ferdinand de Saussure**

تمهيد:

**كان السويسري فرديناند دي سوسير 1857-1913 واحدا من أعظم الباحثين اللسانيين في جميع العصور. إن شخصيته القوية و موهبته اللسانية الأصيلة، و نزوعه الفائق إلى جانب البحث النظري، و التأثير الذي مارسه على طلابه، كل أولئك لم يجعل منه مؤسسا لمدرسة مهمة، مدرسة جنيف، بل مؤسسا لعصر بأكمله من الدرس اللساني، لقد كانت أفكاره التي طرحها بطريقة مبنية و مقنعة لأول مرة هي الجذور التي نبتت منها اللسانيات البنيوية الحديثة.**

**أبرز فرديناند دي سوسير في مقدمة كتابه "محاضرات في الألسنية العامة" أنّه توجد مهمة أساسية لكل علم، يجب أن تُحد وأن تعرف في ذاتها، وبالنسبة لعلم اللّغة فإن ذلك مهم بوجه خاص لأن كثيرا من العلوم من جهة تعني الإنسان، ومن ثمّ باللّغة الإنسانية أيضا، ومن جهة أخرى قد بيّن الماضي أيضا أن علم اللّغة في خَطَرِ أن تمتصه علوم أخرى وبخاصة علم النّفس وعلم الفلسفة، إنّه يوافق على الاحتكاك بتلك العلوم المجاورة، غير أن علم اللّغة يجب أن يبدأ من مواقع علم مستقل، ويتبع ذلك أن يحدّد موضوعا خاصاً وأن يطوّر مناهج خاصة لبحثه.**

**حدد سوسير بوصفه ممتحنا للغة: Langage (الكلام الإنساني)، واللّغة المعينة Langue (اللسان)، والكلام parole (التحدث).**

**ويميز هذه المفاهيم بعضها عن بعض على النحو التالي:**

* **الكلام الإنساني: ككل، له أشكال كثيرة وغير متشابه، تابع لمجالات مختلفة، فهو فيزيائي ونفسي وفسيولوجي في الوقت ذاته، ويتبع فضلا عن ذلك المجال الفردي والمجال الاجتماعي، ولا ينتظم في فصيلة من العلاقات الإنسانية لأنّ المرء لا يعرف كيف اشتقت وحدته.**

# **لذلك لا يمكن أن تكون اللّغة، الكلام الإنساني، موضوع علم اللّغة، لأنّه يجب أن يشترك فيه كل العلوم العقلية وعلم وظائف الأعضاء، ويَعقِدُ سوسير مقارنة وهي أن أعضاء الكلام علاقتها بالكلام ضئيلة مثل الأجهزة الكهربائية، تلك التي تستخدم في إيصال ألفبائيةموريس، فهي لها علاقة ضئيلة بهذه الألفبائية.**

* **أمّا اللّغة المعيّنة: Langue (اللسان)، على العكس من ذلك فهي ليست إلاّ جزءاً معيّنا، جوهرياً حقيقة منه، كلّ في ذاته وأساس للتصنيف، وفي اللحظة التي نُقِرُ لها فيها بالمكانة الأولى بين حقائق الكلام الإنساني، نأتي بنظام طبيعي في مجموع لا يجيز أيّ تصنيف آخر.**

**ويجمّل سوسير السّمات المميّزة للّغة المعينة في أربعة نقاط:**

* **اللّغة المعينة جزء اجتماعي من الكلام الإنساني ومستقل عن الفرد الذي لا يمكن أن يخلقها ولا أن يغيرها لنفسه وحده، فهي تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين أعضاء الجماعة.**
* **اللّغة المعينّة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، قارن ما تسمى "لغات ميتة"، التي لم تعد تُتَحدَث، ولكنها تُبْحَثُ وتُعلَّمْ.**

# **اللّغة المعيّنة حسب طبيعتها متجانسة في ذاتها، نظام من العلامات، كِلاَ جانبيه نفسي.**

# **كل ما يتعلّق باللّغة يمكن تحديده، وأداة ذلك الكتابة.**

# **هل اللّغة المعينة الآن هي موضوع علم اللّغة أم الكلام؟**

* **هنا نتعرض للثنائية الأولى من ثنائيات دي سوسير:**

# **اللّغة المعيّنة في مقابل الكلام:**

# **اللّغة المعيّنة اجتماعية (فقط ما يهمّ الجماعة يدرج في اللّغة)، فهي تستوعب ما هو جوهري، وتسعى من خلال معايير ثابتة إلى الثبات وتوجهها قواعد وهكذا: فاللّغة المعيّنة هي شكل.**

# **الكلام هو الحديث الفعلي، فردي، يستوعب ما هو عارض بدرجة اقل أو أكثر، ويسعى إلى الدينامية، ويجيز القياسات، وهكذا: فالكلام مادة.**

# **في الوقت الذي تفصل فيه اللّغة عن الكلام فإنّه يُفصَّل:**

# **ما هو اجتماعي عما هو فردي.**

# **ما هو جوهري عما هو إضافي.**

# **وما هو عارض بدرجة أكثر أو أقَّل.**

# **وتمكننا أن نرى هنا العلاقة الوطيدة بين ما جاء عند دي سوسير، ودوركايم في علم الاجتماع حيث نجد:**

# **دوركايم: تسكن الحقائق الاجتماعية في المجتمع ذاته، وليس في أجزائه أعضاء المجتمع، ولا يتضح الناتج الاجتماعي كاملا لدى أيّ فرد مفرد.**

**سوسير: اللّغة المعينة لا توجد كاملة إلاّ في الجماعة**

**دوركايم: الحقائق الاجتماعية ملزمة للفرد.**

# **سوسير: اللّغة المعيّنة نتاج، لا يتملكه الفرد إلاّ بصورة سلبية، وهي ملزمة للفرد الذي لا يستطيع أن يوجدها ولا أن يغيّرها من نفسه.**

# **دوركايم: يجب أن يبحث التفكير الجمعي "في ذاته ومن أجل ذاته".**

# **سوسير: يجب أن تبحث اللّغة المعينة "في ذاتها ومن أجل ذاتها".**

# **\*ـــــــــــ\*ــــــــ\*ــــــــــ\*ــــــــ\***

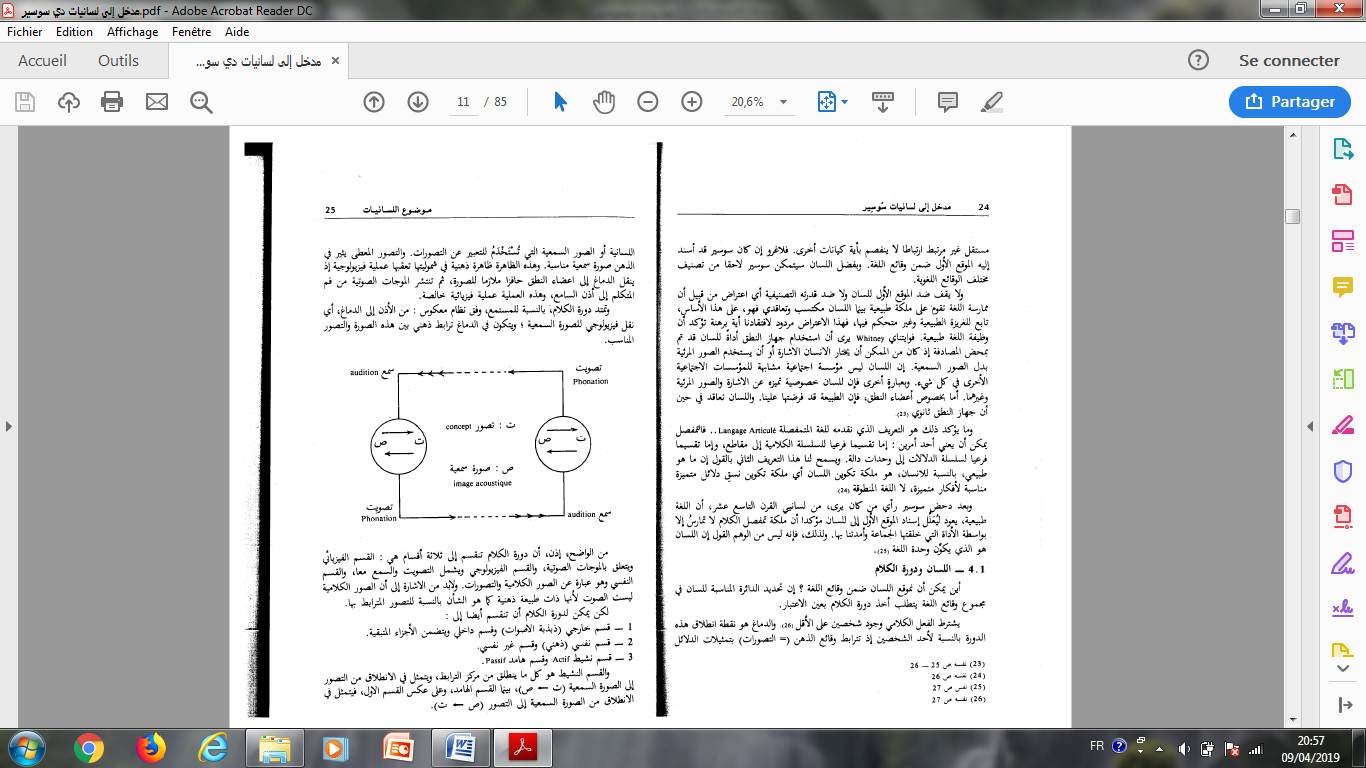
# **موضوع علم اللّغة بالنسبة لسوسير هو اللّغة المعيّنة (اللسان) وحدها، فهي فقط بالنسبة له لها بنية، أي أنها كلٌّ يتكوّن من أجزاء مترابطة به ترابطا غير مستقل.**

# **لاحظ سوسير بوجه عام علاقة التبادل بين اللّغة المعيّنة والكلام: فكل فرد يجب عند الكلام أن يتبع قواعد اللّغة القائمة حتى يصير مفهوما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الكلام وحده هو الواقعي، وعبر الكلام فقط يمكن أن نَدْرُسَ اللّغة المعينة، وهكذا فقط: يمكن أن يقدم التغيير اللّغوي وما إلى ذلك، ولكنه يُنكر على الكلام ـ مع ذلك ـ أن يكون منظماً، ولذلك يستبعد الكلام من مجال موضوع علم اللّغة.**

# **اللسان ودورة الكلام:**

**أين يمكن أن نموقع اللسان ضمن وقائع اللغة؟ إن تحديد الدائرة المناسبة للسان في مجموع وقائع اللغة يتطلب أخذ دورة الكلام بعين الإعتبار. يشترط الفعل الكلامي وجود شخصين على الأقل، و الدماغ هو نقطة انطلاق هذه الدورة بالنسبة لأحد الشخصين إذ تترابط وقائع الذهن( التصورات) بتمثيلات الدلائل اللسانية أو الصور السمعية التي تستخدم للتعبير عن التصورات. والتصور المعطى يثير في الذهن صورة سمعية مناسبة. وهذه الظاهرة ظاهرة ذهنية في شموليتها تعقبها عملية فزيولوجية إذ ينقل الدماغ إلى أعضاء النطق حافزا ملازما للصورة،ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتكلم إلى أذن السامع، وهذه العملية فيزيائية خالصة.**

**وتمتد دورة الكلام بالنسبة للمستمع وفق نظام معكوس: من الأذن إلى الدماغ، أي نقل فيزيولوجي للصورة السمعية، ويتكون في الدماغ ترابط ذهني بين هذه الصورة والتصور المناسب.**



**من الواضح إذن أن دورة الكلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: القسم الفيزيائي ويتعلق بالموجات الصوتية، و القسم الفيزيولوجي ويشمل التصويت و السمع معا، و القسم النفسي وهو عبارة عن الصور الكلامية و التصورات، ولا بد من الإشارة إلى أن الصور الكلامية ليست الصوت لأنها ذات طبيعة ذهنية كما هو الشأن بالنسبة للتصور المترابط بها.**

**لكن يمكن لدورة الكلام أن تنقسم أيضا إلى:**

1. **قسم خارجي(ذبذبة الأصوات) وقسم داخلي يتضمن الأجزاء المتبقية.**
2. **قسم نفسي(ذهني) وقسم غير نفسي.**
3. **قسم فاعل(نشيط) وقسم منفعل(هامد).**

**والقسم النشيط هو كل ما ينطلق من مركز الترابط، و يتمثل في الانطلاق من التصور إلى الصورة السمعية،**

**(ت ص)، بينما القسم الهامد على عكس الأول فيتمثل في الانطلاق من الصورة السمعية إلى التصور**

**(ص ت).**

# **التزامن والتعاقب:**

# **لم تنْشَأ ثنائية التزامن والتعاقب في اللّغة المعيّنة ذاتها، بل إنّها تختص بالتناول المنهجي لعالم اللّغة لموضوعه، فهو يبني نظاماً إحداثيا (تناظريا)، ذا محورين التزامن (Synchronie) والتعاقب (Diachronie)، ويتحرك إذن في بحوثه في إطار هذا النظام الإحداثي.**

# **وهكذا فالتزامن والتعاقب ليْسَا منهجين، بل هما إجراءان عامان، يتحدّد من خلالها اختيار مناهج معينة، وكان علم اللّغة التاريخي المقارن قبل دي سوسير قد بحث التعاقب وحده، وعلى العكس من ذلك فإنه لا يوجد بالنسبة لمتكلم لغة ما إلاّ تزامن الصيغ في حالة لغوية معيّنة، وحلّ سوسير الاختلاف بين كليهما لصالح علم اللّغة التزامني (الوصفي)، حيث يبحث كل حال لغوية دائما تزامنيا.**

# **فالحدث اللساني عند دي سوسير إنّما يرتكز أساسا على جانبين، أحدهما يتعلّق باللسان في حدّ ذاته كلسان له خصائصه ومميزاته، والثاني ذلكم التغيّر والتجدّد الذي يلامس الجانب التاريخي وعلاقته بالحدث اللساني، بعبارة أخرى هناك سياق آني زمني، ثمّ سياق تاريخي لواقع هذا اللسان البشري، الأمر الذي جعل من دي سوسير يميّز بين منهجين في تناوله للحدث اللساني، منهج تاريخي يُعنى بالجاني التحوّلي للحدث اللساني عبر حقبة الزماكانية، ثمّ بعدها المنهج السانكروني الذي يهتم أساساً بدراسة اللّغة كما هي في الواقع دون أن يتعدى ذلك أبداً، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الدراسة اللغوية للحدث اللساني إلى ما أسماه بـ:**

**نظرة تزامنية (آنية) ونظرة تعاقبية (تاريخية)، غير أنّ دي سوسير لفت النظر إلى أنّه حتى لو أُقرت الاختلافات المطروحة هنا هذه المرّة فإنّه ربما يمكن للمرء ألاّ يطالب باسم هذا النموذج بأنّ تنحو البحوث نحوه بدقّة شديدة، ويُلاحظ من ألان فصاعداً أن كل التغيرات اللّغوية تحدُّ من الناحيتين الزمنية والمكانية، فلا يُوجد زمن عام.**

**وحسب دي سوسير، فاللسانيات الآنية تُعنى بالعلاقات النفسيّة والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معاً، وتُشكّل نظاماً في العقل الجماعي للمتكلمين، وعلى العكس تماماً فاللسانيات الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي والتي يحل بعضها محل البعض الآخر، دون تشكيل أيّ نظام يُذكر، (مثال النبات) و (مثال لعبة الشطرنج من شخص غير واع).**

1. **العلامة: (الدال والمدلول):**

**العلامة في أوسع معانيها هي حاملة لمعلومة، ونحن نتحدث بدقّة عن علامة حين تُستخدَم إشارةً فيزيائية، يمكن أن تكون سمعية، أو كهربائية أو أفقية أو مسطّحة أو غير ذلك،لنقل الخبر، وبهذا المعنى تكون العلامات أعواد نقش للشعوب البدائية، إشارات الطبل، وإشارات الإعلام والإذاعة، وإشارات المرور والحركات، ولغات الحيوانات والإنسان لم يُذكر إلاّ بعض منها، ويجب أن يفرق بين العلامات والمارات (رموز)، فالعلامات تؤشر إلى شيء، أمّا الرموز فهي أمارات على وجود شيء، كالدخان أمارة على النار...**

**فالعلامات معروفة منذ مدّة طويلة، وقد كان معروفا أيضا أنّ العلامات اللّغوية هي ربط بين تصوّر وصورة صوتيّة، فإن لم يكن فردينان دي سوسير بذلك مؤسس علم العلامات اللّغوي، فهو من جانب آخر ذلك الذي نهض بكلّ المفاهيم الحالية للعلامات في تأليف معيّن [إلى مستوى أعلى]، وهو الذي رتبّ العلامات في أنظمة علاماتيّة، والذي حدّد خواص العلامة اللّغوية، والذي بحث العلاقات بين لغات إنسانية طبيعية وأنظمة علاماتية أخرى وتُوجَزُ الآن تفسيراته حول ذلك في هيئة فرضيات، تبيّن أهمّ أفكاره بشكل واضح:**

1. **العلامة اللّغوية كلُّ يتكوّن من تصوّر وصورة صوتيّة، إذ يستخدم المصطلحين (signifié - signifiant)، أي (المدلول والدال)ن وكلا جانبي العلامة غير منفصم، مرتبط كل منهما بالآخر، ويستلزم كل منهما الآخر، في صورة أنّ:**

* **اللّغة يمكن أن تقارن بسطحي الورقة: التفكير هو الجانب الأمامي لها والصوت هو الجانب الخلفي، ولا يستطيع المرء أن يقطع الجانب الأمامي دون أن يقطع الجانب الخلفي في الوقت نفسه، وكذلك لا يستطيع المرء في اللّغة أن يفصل الصوت عن الفكرة، ولا الفكرة عن الصّوت.**
* **كلا الجانبين نفسين والدّال أيضا، الصورة الصوتية، ليس صوتا (مركبا صوتيا) واقعيا، بل يرتكز على تجريد من أصوات (مركبات صويتية) واقعية كثيرة، لها كلّها العلاقة ذاتها بالمدلول، التصوّر فالصورة الصوتية:**

**" ليست الصوت الفعلي الذي هو ليس إلاّ شيئا فيزيائيا، بل إنّ الانطباع النفسي لهذا الصوت قد جعل ذلك على أساس أوجه إدراكنا الحسّي حاضراً فهو حسّي، وحين نُطلق عليه أحيانا صفة "مادي" فإنّه يُقْصَدُ بذلك أيضا ما هو حسّي، وذلك على النقيض من العنصر الاخر، أي التصوّر، الذي هو أكثر تجريداً ".**

1. **تنتظم العلامة اللّغوية داخل الأنظمة العلاماتية ، التي تترابط فيها العلامات المفردة ترابطا منظما، فقيمتها لا تتحصل إلاّ في ربطها بالعلامات الأخرى للنظام ذاته.**

* **إنّ سوسير لا يرى نظام العلامات إلاّ في اللّغة المعيّنة وحدها، إذْ أنَّه ينكر على الكلام النظاميّة، وهكذا تعمل أنظمة علاماتية أخرى مثل النظام اللّغوي، ولذلك يطالب بتطوير علم لأنظمة العلامات لا يكون فيه الكلام الإنساني إلاّ موضوعاً للبحث إلى جانب أنظمة علاماتية أخرى، وقد اقترح اسماً لهذا العلم هو علم العلامات "Semeologie"،وهذا العلم قد أنشئ في قرننا، وأُعدّ له مجال تطبيق واسع. (ولكن تحت اسم "Semiotik").**

1. **وصف سوسير العلامة اللّغوية بالاعتباطية والأفقية باعتبارهما خاصيتين أساسيتين: فقد كانت الأخيرة في بادئ الأمر غير إشكالية – فالعلامات تُنطق أفقية، متجاورة أمّا الأولى فتتطلب بعض تروٍ وتدبر، فاعتباطيArbitrar تعني في هذا السياق أن الرابط بين التصوّر والصورة الصوتية ليس سَبَباً، مثال ذلك: لا يوجد أيّ تعليل لأنّ نسمي "الشجرة" ذلك النبات ذي الخواص النباتية المحدّدة للغاية، أوضح إشارة إلى ذلك التعليل الخاطئ، هو وجود لغات كثيرة بدلا من واحدة، هذا النبات يسمى في اللاتينية arber، وفي الإنجليزية tree، ولذلك يتحدث بدلاً من الربط السببي عن علاقة إلحاق، ومن جهة أخرى: ينبغي أن تتجنّب الترجمة المقترحة كذلك الوصف (أي الاختيار)، لأنّ العلاقة العلاماتية ليست على هوى كل فرد، إذْ لا يجوز له أن يختار العلامات كيفما يشاء، بل يجب ان يستخدم ما هي موجودة من قبل إذا ما أراد أن يُفهم:**

**"تتطلب كلمة "كيفما اتفق" معها ملاحظة، فلا ينبغي أن تثير التصوّر وكأنّ التسمية تتوقف على الاختيار الحّر للشخص المتكلّم (سوف نرى فيما يلي أنّه ليس في مقدرة الفرد أنْ يغيّر أي شيء في العلامة المستعملة فيما مضى لدى جماعة لغويّة)، ويعني ذلك أنّها لا تبعث على شيء، أي أنّها "كيفما اتفق"، في علاقتها بالمدلول الذي ليست له بها في الواقع أيّة تبعية طبيعية ".**

**وعلى الرغم من أنّ سوسير قد رأى ذلك التحديد من خلال الجماعة اللّغويّة وفيها بوجه عام فقد وضع الباعثيّة Motiuiertheit: قطبا مقابلاً للاعتباطية، ومع العلامات المحفزّة توجد علاقة سببيّة بين الدال والمدلول، ويفكر المرء عند ذلك بادئ المر في الأصوات المحاكية (Onomatopoetika)، غير أنّها لا تؤدي هنا إلاّ دوراً هامشيا في النظام اللّغوي وفي الواقع الباعثيّة ظاهرة مختلفة: فالمركبات (schreibtisch) (منضَدَة كتابة)، (أو مكتب) محفزة بالنسبة لمفردات مثل (Tisch)، وبوجه عام يُسهِم بناء مطرد للمفردات والصيغ أيضاً في التحفيز لعلامات لغوية، ولذلك ينبغي أن تُعدَّ محفزة أكثر من كونها معياراً، ثمَّ قطباً أخيراً ولكن ذلك يجعل هذا المفهوم غَيْرَ كفءٍ أيضا لكي يمكن استعماله قطباً مقابلاً لاِعتباطي.**

1. **لوصف العلامة اللّغوية يجب أن ندرك أنّ دي سوسير عدَّها مفهومة وغير مفهومة في الوقت نفسه – غير مفهومة unverstandlich، بمعنى أنّ الصفة هي دائما إرثُ مرحلة ماضية، واقعة، يجب أن تخضع للفرد:**

**"في الحقيقة لا تعرف أيُّ جماعة اللّغة على نحو مغاير لأن تكون نتاجاً موروثا من أجيال أسبق، وكان على المرء أن يتقبّل ذلك كما كان ... فالحال المعطاة للّغة هي دائماً نتاج عوامل تاريخية، وتقدّم هذه العوامل تفسير: لماذا لا تُعدُّ العلامة مفهومة، أي تقاوم كل استبدال عشوائي".**

**وهي مفهومة من خلال ربطها بمتكلم وزمن مستمر، فلو كان البشر أحياء إلى الأبد والزمن متوقفا، لربما لم يوجد أيّ تغير، التغيّر التحوّل اللّغوي يمكن أن يقع على نحو مختلف للغاية ولكن: ما يجعل عوامل التغيّر ممكنة دائماً أيضاً سواء أعملت مفردة أو مترابطة، أنّها تؤدي إلى اختلاف في العلامة في العلاقة بين المدلول والعلامة.**

**فالعلامة لدى سوسير إمّا اعتباطية أو محفّزة، خاصيتها الأساسية هي اعتباطيتها عُرْفِيَتُها لا تنشأ من الاتفاق، وليس على أساس ارتباط سببي بين المكونين.**

* **حقا لم ير سوسير أو لم يوضّح أنّ الحالات التي يوجد فيها في الواقع تحفيز لا تنفي الاعتباطية، بحيث لا يمكن أن يشكّلَ التحفيزُ إذن القطب المضاد للاعتباطية.**

**لذا يصحّح علم اللّغة ثنائية سوسير (اعتباطية- الحافزية) بثنائية تقابل التحديد الاجتماعي بالاعتباطية: فالعلامات اللّغوية فقط، التي تقرّها الجماعة اللّغوية يمكن ويجوز أن يستخدمها المتكلمون الفرادى حين يلتزم أن تؤدي اللّغة وظيفتها، وهي أن تكون وسيلة للاتهام من خلال ذلك فقط تقييد الاعتباطية، وذلك لا يجوز أن يُفهم اعتباطي بأنّه "كيفما اتفق لكل فرد".**

# **لم يحقّق نظام سوسير من علامات جدولية ونحوية هدفه، وهو فصل مجالات العلم المحدّدة [علم الأصوات، علم الصرف، علم النحو، علم المعاجم]، ولكنه أثّر في علم لغة هذا القرن تأثيراً في صورة عمليتي: التجزئة والتصنيففهو يُجَزَأُ بمراعاة العلاقات النحوية، ويصنّفُ على أساس العلاقات الجدوليّة، وقد تميّزت كل المدارس الكلاسيكية لعلم اللّغة البنيوي بهاتين العمليتين الأساسيتين، ولذلك وُسِمَتْ أيضا بعلم اللّغة التصنيفي.**

1. **عند تقويم النظرية اللّغوية لدى سوسير يجب كذلك أن يشار على أوجه العجز التالية في هذه النظرية: فقد نظرت أولّاً في بناء النظام اللّغوي، ولكنها لم تُجرِ ايّ تحليل لنظام لغوي محدّد، ونظرت ثانيا في النظام اللّغوي منعزلا، ليس فقط عن كل الصلات بحامل اللّغة، صاحبها، بل أيضا دون مقارنة بأنظمة لغوية أخرى، أي دون جعل المقارنة اللّغوية موضوعاً، ومع ذلك فكلا الأمرين لم يكونا متعمدين أيضا، فربّما كان الأمر مختصا بتطبيق النظرية، وليس بالنظرية ذاتها، ومن بَعُدَ التقليل من كفاءة نظرية سوسير اللّغوية.**

**\*\* ويمكن أن يقال باختصار إنّ نظرية سوسير اللّغوية قدّمت بواعث فكرية إيجابية كافية، مثل أسباب الاحتكاك حتى يستطيع أن يؤثر علم اللّغة على العقود التالية تأثيراً شديداً، فقد اتحدت كل المدارس في النظر إلى اللّغة على أنها ظاهرة تتجاوز كل الجمل، التي نتجت عرضا عن مجموعة معيّنة من البشر، اللّغة على الأرجح نظام بنيوي، كلٌّ لا يتكوّن من تراكم الجزيئات بل يبنى من عناصر تقع في علاقة تبادل بعضها مع بعض، نظام كلّ عناصره متماسكة كما نصّ سوسير.**

1. **العلاقات التركيبية والترابطية:**

* **العلاقات التركيبيّة:**

**تتمثّل في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللّغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة، وتُضفي كل وِحدة معنى إضافيا على الكلّ، وتكون في حالة تقابليّة مع بقية الوحدات اللّغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها إلاّ بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعاً، وتسمى هذه الأنساق الخطيّة تراكيب، فعند قولنا: صار الطفل صبيا، هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات هي: صار + الطفل + صبيا، أمّا على مستوى المفردات، فتتمثّل العلاقة بإدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفنولوجيّة المتعارف عليها في تكوين مفردات اللّغة نحو:**

**الطّفل، كتابة: ا+ل+طّ+ف+ل.**

**صوتيا: ا/ــَ/ط/ط/ ـــِ/ف/ل.**

**وهي: (س ص س)(س ص س س).**

**وفي الخطاب تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللّغة الخطيّة بسبب ترابطها فيما بينها مما يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد.**

**أمّا العلاقات الترابطيّة فنطلقها على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللّغوية التي يمكن أن تحلّ محل بعضها بعض في سياق واحد، وبعبارة أخرى فإنّها تعكس العلاقات الموجودة في أذهاننا.**

**وقد أطلق دي سوسير لأول مرة في تاريخ اللسانيات عبارة "ترابطية" على هذه العلاقة وتتّضح لنا من خلال المثال:**

تــمــرّ الأيـــام ســريــعـــة.

تسـيــر الحــافلـة بـبــطْء.

تتحـرك الفـراشـة بـرقّــة.

**أمّا على مستوى المفردات فيكون تحديد كل فونيم (صوتم)، بمقابلته بالفونيمات الأخرى التي يمكن أن تحلّ محله:**

حذف

قام حرف جرم

صام حتف جرف

لام حشف جرس

**وهناك علاقات ترابطية أخرى جاء بها دي سوسير كما في قوله:**

**تكتسب الكلمات التي يجمعها شيء مشترك علاقات من نوع آخر، حيث تترابط في الذاكرة مشكلة مجموعات تميّزها علاقات مختلفة، كلمة (تعليم) مثلا تستدعي لا شعوريا إلى الذهن مجموعة من الكلمات الأخرى (علّم)، (معلم) ...**

**إذْ يجمعها جذر واحد، او قد يجمعها اللاحقة، أو تشابه المدلولات، فالعلاقة التركيبية حضورية وتقوم على عبارتين أو أكثر في سلسلة موجودة بالفعل، وبالمقابلة فإنّ العلاقة الترابطية تجمع بين عبارات غيابية في سلسلة كامنة في الذاكرة.**

**5- مفهوم البنية (النّظام):**

* **البنية لغويا: تعني تكوين الشيء، أو الكيفية التي شُيّد عليها.**
* **أمّا اصطلاحا: فهي مجموعة مركبة من العناصر المتماسكة والمتداخلة فيما بينها بحيث تلغي فكرة التفرّد، ويتوقف كل عنصر على بقية العناصر الأخرى، ومدى علاقته بها.**

**لكن ليس كلّ تراكم من المفردات يسمى بنية، فإنّ ذلك كجمع قصاصات معيّنة وإلصاقها ببعضها البعض، لينتُج التحام لا يدلّ على شيء، فالبنية في هذه الحالة تفتقر عناصرها الاصطلاحية إلى الوِحدة التي تفتقد بدورها لمبدأ العلاقات، هذا الأخير هو المسؤول عن انسجامها وائتلافها من عدمه.**

**والبنية أو النظام ينعدم بانعدام هذا الانسجام والائتلاف، لأنّه في هذا الحال تصبح العناصر غير خاضعة لمنطقية الرّبط أو المنطقية السببيّة التي تستلزم تعيينا قصديا ومدركا، فيكون كل نظام بنية والعكس غير صحيح.**

**والنظام أو البنية المنسجمة تنتج نسقا، تفسره العلاقات والروابط بين عناصر هذا النظام.**

**يعتبر فهم النظام ودراسته دراسة آنية موضوعية، صلب المنهج الذي بدأه دي سوسير.**

**\*\*\* نقد لما جاء في ثنائيات دي سوسير:**

1. **ليست اللّغة وحدها نظاماً، ففي حال المتكلّم المفرد والواقعة اللّغوية المعيّنة أيضا يجب أن يوجد التزام بنظام، وهذه الأنظمة يجب أن تكون متساوية تقريبا لدى المتكلمين او المستمعين الفرادى حين تقوم اللّغة بوظيفة "وسيلة الإفهام"، ويعني ذلك أن الموضوع الأساسي لدراسات علم اللّغة هو اللّغة بمعنى اللّغة المعيّنة، أنّها لا يجوز أن تكون الموضوع الوحيد للدراسة، فوقائع الكلام أيضا يجب أن تُبْحَثَ، وفضلا عن ذلك لا توجد اللّغة في ذاتها، بل لا يوجد دائما إلاّ الكلام المحدّد، ويمكن بطريق دراسته فقط النفاذ إلى اللّغة.**
2. **كما عُرفت مقارنة سوسير اللّغة المعيّنةالسينفونيّة الكلام بالعزف المحدّد بأنّها لم تكن موفقة، فإذا ما أقيمت هذه المقارنة بالموسيقى فالأكثر صوابا أن تقارن اللّغة المعيّنة بالمعرفة التأليفيّة؛ أي القواعد التي تنشأ وفقا لها من جانب آخر تجزئة لحن معيّن وعزفه المحدّد أيضا، بسبب هذا التحفّظ تجاه مفاهيم سوسير أُدخل فيما بعد، وبخاصة في النحو التوليدي، بدلاً من (اللّغة المعيّنة - الكلام)، مفهوماً (الكفاءة اللّغوية والأداء اللّغوي).**
3. **يجب أيضا أن ينظر إلى تفسير سوسير لثنائية التزامن والتعاقب في السياق التاريخي العلمي، ففي الواقع يجب أن يُلاحظ أنّ سوسير لم يطالب مطلقا بالاشتغال فقط بعلم اللّغة التزامني كما يُزعَمُ باستمرار، فالمرء لا يستطيع حقيقة أن يجد ذلك في كتابه، بل نجد فيه فصولاً مفصّلة عن أهمّ مجالات التطور اللّغوي، ويقول أنّ علم لغة التطوّر مهم.**
4. **لبّ نظرية سوسير اللّغوية هو فهم اللّغة على أنّها نظام علامات، نظام كلّ عناصره متماسكة أي فيه يقضي كل شيء الاخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدّد من خلال موقعه من الشبكة الكليّة للعلاقات، وأكثر من ذلك تحصل كل علامة مفردة على قيمتها من خلال هذه الشبكة، من خلال حقيقة اختلافها عن كل العلامات الأخرى للنظام ذاتهن وحين لا يفترق اختياران محتملان للعلامة بعضهما عن بعض، ولا يكون لهما بهذا النحو قيمة محدّدة تحديداً سلبيا، فإنّه لا توجد علامتان بل تحقيقات لعلامة واحدة فقط.**

**غير أنّ العلامة المفردة ذاتها لها خصائص إيجابية أيضا، ولا سيما خصّيصة وجود رابط قوي بين الدال والمدلول. (نتذكر هنا صفحتي الورقة).**

**مراجع المحاضرة:**

* **اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش.**
* **اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية، حنيفي بناصر ، مختار لزعر.**
* **مدخل الى لسانيات سوسير، مبارك حنون.**
* **مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت.**